

أعلام المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ومناهجهم

أهداف الدرس

1. أن أتعرف بعض أعلام المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي؛
2. أن أثبت أهم آثارهم العلمية وخصوصياتهم المنهجية في المذهب الأشعري؛
3. أن أتمثل مناهجهم في العقيدة الأشعرية.

تمهيد

بعد انتشار المذهب الأشعري في المشرق، جاء الدور على الغرب الإسلامي؛ حيث انتشر به هذا المذهب من خلال الرحلات العلمية بين المشرق والمغرب، والتي اتصلت بأعظم شيوخ المذهب الأشعري كالباقلائي وإمام الحرمين والغزالي وفخر الدين الرازي وغيرهم. فمن هم أبرز أعلام هذا المذهب في الغرب الإسلامي؟ وما مناهجهم وآثارهم؟

نص الانطلاق

قال ابن خمير السبتي رحمه الله: «أما بعد، فإني استخرت الله تعالى في إملاء عقيدة وسط تنبئ عن جلي التحقيق، فوق ملومات التقليد ودون الإطناب في مشكلات خفي التدقيق، على جهة الإيجاز والاختصار، وبالله الاستعانة والتوفيق، وهو بالفضل حقيق.

فإن قيل: وكيف تستتب لك هذه الدعوى وقد تقدمك إليها فحول العلماء، ورؤساء الطريقة كالشيخ أبي الحسن في «لمعه»، والاسفرايني في «مختصره»، والقاضي أبي بكر في «تمهيد»، وابن فورك في «عمدته»، وإمام الحرمين في «إرشاده»، و«نظاميته»... إلى غير ذلك من عقائد المتأخرين، فإن أطنبت فقد أطنبوا، وإن اختصرت فقد اختصروا، وهم هم. فأيش هذا التوسط الذي تدعيه؟ فالجواب: أن نقول: إنا ما اعترضنا إلا لأن القوم كبار في

العلم، والكبير إذا قصد النزول لم يتأت له التألي، فإن همته فوق النزول، فشيمته لا تواتي الكلام الدون، كما قال أبو الطيب:

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل**

وبرهان ذلك أن ما منهم من ألف متوسطا إلا وأعرق فيه من ثلاثة أوجه:

أحدها: ما اعتادوه من اللفظ العويص الذي اصطلحوا عليه مع أقرانهم ونظرائهم؛

والثاني: ما أوردوه من شبهات يكل عنها فهم الشادي فما ظنك بالمسترشد البادي؛

الثالث: أنهم يقصدون الإيجاز في اللفظ بجوامع من الكلم؛ ليصغر حجم التأليف ويسهل للمتعلمين، وقصدهم بذلك الرفق، فإنه علم صعب الانقياد، ومائدة قلما يحضرها طفيلي، كما قال أبو القاسم الجنيد رحمه الله:

الطرق شتى طريق الحق مفردة * والسالكون طريق الحق أفراد**

فلو أن المبتدئ عندما يقصد التعلم اطلع على كتاب «الشامل» مثلا أو ما هو أبسط منه، فقليل له: لا تعرف ما يلزمك حتى تفهم هذا الديوان، لنفر من أول وهلة، وبذا جرت العادة حتى لا يسكن تلك الدار السنية إلا أهلها، فهذا -حرسك الله- عذري عن هذا المقصد في هذا التأليف، والمعتمد فيه -إن شاء الله- تجنب هذه الثلاثة التي تقدم ذكرها، وإيراد دليل كاف يشابه الضروريات ويدفع الاعتراضات مع الاعتراف لألئك الجلة بالمكان الحظي، والمنصب السني». [مقدمة المراسد إلى علم العقائد، ص 74].

الفهم

الشرح:

- **نظاميته:** كتابه المسمى: «العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية».
- **أيش:** أي شيء، من باب النحت.

استخلاص المضامين:

- استخلص أهم أعلام المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي ومناهجهم في التأليف.

التحليل

نتناول في هذا الدرس أهم أعلام المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ثم نبين أهم آثارهم ومناهجهم وخصوصياتهم في تناول قضايا العقيدة:

أولاً: أهم أعلام المذهب الأشعري المتقدمين في الغرب الإسلامي

انتشر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي في وقت مبكر من خلال الرحلات العلمية بين المشرق والمغرب، وقد أسهم في نقله إلى الغرب الإسلامي والتعريف به ونشره عدد كبير من العلماء الأعلام بحسب الأزمان والأقطار، وكان من أوائل هؤلاء الأعلام الذين نقلوا المذهب الأشعري إلى المغرب أو أسهموا في نشره واستقراره فيه:

1. أبو ميمونة دراس ابن إسماعيل (ت 357 هـ)، الذي رحل إلى المشرق والتقى بتلاميذ الإمام الأشعري، فأخذ عنهم أصول المذهب، وعاد إلى إفريقية لنشره، ثم حل بفاس التي استقر بها ينشر علمه إلى أن توفي رحمه الله بها سنة 357.

2. إبراهيم بن عبد الله الزبيري المعروف بالقلانسي (ت 359 هـ)، وقد ذكر البرزلي أنه كان من مشايخ الأشعرية، ونسب إليه بعض آراء الأشعري التي أدخلها القيروان، وقد عرف بمواقفه القوية في الدفاع عن عقيدة أهل السنة والرد على المخالفين.

3. أبو الحسن علي بن محمد القابسي (ت 403 هـ) الذي رحل إلى المشرق ودرس على تلامذة أبي بكر الباقلاني فعاد إلى بلاده وكان من نظار الأشاعرة، وألف رسالة في «فضل أبي الحسن الأشعري»، وأحسن الثناء عليه، وله تأليف كثيرة في العقيدة منها: كتاب «الاعتقادات»، و«المنقذ من شبه التأويل».

4. أبو عبد الله الحسين بن عبد الله بن حاتم الأذري، أحد تلاميذ القاضي أبي بكر الباقلاني الذي بعثه إلى القيروان وبلاد المغرب لنشر العلم، فدان له أهل العلم من أئمة المغرب بالقيروان وإفريقيا، وقد استوطن بها ينشر المذهب الأشعري حتى توفي سنة 423 هـ. قال عنه القاضي عياض: «فكان من كبار الأشاعرة النازحين إلى المغرب أبو عبد الله الأذري تلميذ القاضي الباقلاني»

[ترتيب المدارك، 2/586].

5. أبو عمران الفاسي (ت 430 هـ)، رحل إلى بغداد سنة 399 وتلقى أصول المذهب عن القاضي أبي بكر الباقلاني الذي أعجب بذكائه وحفظه، ولما رجع إلى القيروان وجلس بها وظهر علمه قصده الناس من كل جهة...، قال عن لقائه مع الباقلاني: «رحلت إلى بغداد وكنت قد تفقّعت بالمغرب، والأندلس عند أبي الحسن القابسي، وأبي محمد الأصيلي، وكنا عالمين بالأصول. فلما حضرت مجلس القاضي أبي بكر ورأيت كلامه في الأصول والفقه، والمؤالف والمخالف، حقرت نفسي وقلت: لا أعلم من العلم شيئاً. ورجعت عنده كالمبتدئ». [ترتيب المدارك 47/7].

ثانياً: أهم أعلام المذهب الأشعري المتأخرين في الغرب الإسلامي

هذه المرحلة صاحبت ظهور الجويني والغزالي في الشرق، وهي المرحلة الفاصلة بين عصر المرابطين وقيام دولة الموحدين في المغرب، وهي مرحلة نضج المذهب الأشعري واستكمال أصوله وقواعده، وانتشار التأليف فيه، ومن أبرز رواد هذه الفترة في الغرب الإسلامي:

1. أبو الوليد الباجي (ت 474 هـ) الذي درس بالأندلس ورحل إلى المشرق، فبلغ رتبة عالية في علوم العقل والنقل والجدل والمناظرة والكلام، وقد اشتهر بمناظرته الشهيرة لابن حزم وإفحامه له، وله مؤلفات كثيرة في الأصولين، منها: «كتاب التسديد في معرفة طرق التوحيد»، و«كتاب المنهاج في ترتيب طرق الحجاج» وغيرهما.

2. أبو بكر محمد بن الحسن المرادي الحضرمي (ت 489 هـ) وهو شيخ أبي الحجاج الضرير، وله أرجوزة صغرى، وأرجوزة كبرى في الاعتقاد، صاحب «كتاب التجريد في علم الكلام».

3. يوسف بن موسى الكلبي المتكلم النحوي أبو الحجاج الضرير (ت 520 هـ)، أحد شيوخ القاضي عياض، صاحب الأرجوزة الوافية في العقيدة المسماة: «الإرشاد والتنبيه في علم الاعتقاد»، يقول عنه تلميذه القاضي عياض رحمه الله: «كان من المشتغلين بعلم الكلام على مذهب الأشعرية ونظار أهل السنة، عارفاً بالنحو والأدب، وله في ذلك تصانيف مشهورة، وسكن بلدنا مدةً، وتردد بالأندلس والمغرب، وكان آخر المشتغلين بعلم الكلام بالمغرب». [الغنية، ص 226].

4. القاضي أبو بكر محمد بن العربي (ت 543 هـ) قاضي الجماعة بمدينة إشبيلية، ورد العراق، وطاف الآفاق، وقرأ على أبي حامد الغزالي، وعاد إلى بلاد الأندلس في سنة سبع وخمسمائة، وألف على نمط الغزالي كتباً، وفرع بها رتباً، ومن أهمها في الاعتقاد: «العواصم من القواصم» و«الأمم الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا». و«قانون التأويل» و«المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد»، والملاحظ أن ابن العربي اهتم بالدفاع عن الصحابة رضي الله عنهم.

5. القاضي عياض: (ت 544 هـ)، كان رحمه الله على مذهب أبي الحسن الأشعري، فقد صحب عبد الغالب بن يوسف السالمي المتكلم على مذهب أهل السنة من الأشعرية منذ إقامته بسبته... وقرأ على يوسف بن موسى الكلبي المتكلم على مذهب الأشعرية أرجوزته التي ألفها في الاعتقادات كما قرأ كتاب المناهج في الجدل والمناظرة لأبي الوليد الباجي، وما احتجج القاضي عياض المتكرر بآراء أبي الحسن الأشعري والقاضي أبي بكر الباقلاني وأبي بكر بن فورك وأبي المعالي إمام الحرمين الجويني إلا دليل قاطع على صلته الوثيقة بالمذهب الأشعري.

6. أبو عمرو عثمان السلاجي (ت 574 هـ) وهو من أبرز تلامذة ابن الإشبيلي (ت 567 هـ) الذين كان لهم الفضل في نشر المذهب الأشعري بالمغرب، نشأ السلاجي بفاس واهتم بدراسة كتب الجويني واستفاد من حلقات العلم لابن الإشبيلي وانتهى إلى القعود بجامع القرويين لتدريس العقيدة والأصول، حتى أطلق عليه «منقذ أهل فاس من التجسيم»؛ لأنه أول عالم درس علم الكلام بفاس، ومن أشهر ما ترك لنا من تراث عقدي «العقيدة البرهانية» التي عرفت انتشارا واسعا في المغرب، وكتب عليها عدد كبير من الشروح، وأقبل عليها العلماء يشرحونها ويدرسونها بكل أنحاء المغرب إلى ظهور السنوسية.

7. العلامة محمد بن يوسف السنوسي (ت 895 هـ) وهو أحد المحققين المتأخرين في المذهب الأشعري المدافعين عنه ألف في العقيدة الأشعرية كتبا كثيرة، منها «أم البراهين» التي كتب الله لها الانتشار لصغر حجمها، وبعدها عن التعقيد، وقد ظلت «أم البراهين» وشروح العلماء عليها مرجعا في علم العقيدة بالمغرب في حلقات الدرس إلى عهد قريب.

8. أبو الحسن علي بن أحمد ابن خمير السبتي الأموي (ت 614 هـ) الذي نبغ في علوم شتى وعلى الأخص علم الكلام، ومما وصلنا من مؤلفاته في العقيدة «مقدمات المراشد إلى قواعد العقائد» و«تنزيه الأنبياء عما نسب إليه من حثالة الأغبياء».

ثالثا: مناهج أعلام العقيدة الأشعرية بالغرب الإسلامي

لا تكاد تخرج مناهج أعلام المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي عن نظرائهم في المشرق نظرا لعلاقة الإمداد والاستمداد بين المدرستين، والتأثير الواضح للإمام الأشعري وأبي بكر الباقلاني وعبد المالك الجويني والإمام الغزالي على العالم الإسلامي في ذلك الوقت، ويمكن

اختصار بعض الخصوصيات المنهجية لأعلام الغرب الإسلامي في الآتي:

1. أن المتقدمين منهم كانوا ميالين إلى النقل والتفويض والاستناد إلى ظواهر النصوص، متأثرين في ذلك بمنهج التفويض في الاعتقاد.

2. أن منهجهم في التأليف قام على تبسيط المذهب وتيسيره، من خلال تأليف الشروح والحواشي خاصة على كتاب «الإرشاد» للجويني، وتخليصه من الألفاظ العويصة ومصطلحات الخواص كما صرح بذلك ابن خمير السبتي في سبب تأليفه كتاب «مقدمة المرشد إلى علم العقائد».

3. أن مؤلفات المغاربة اتجهت أيضاً إلى المختصرات والمتون العقدية المنظومة منها والمنثورة، ومن أبرز هذه المتون: الرسالة المختصرة المسماة «العقيدة البرهانية» لعثمان السلاجي، والأرجوزة المشهورة المسماة «الإرشاد والتنبيه في علم الاعتقاد»، ليوسف بن موسى الضرير، والسنوسية الصغرى المسماة «أم البراهين».

4. ضم مسائل العقيدة إلى كتب الفقه المالكي، في مستهلها أو خاتمتها، كما فعل ابن شاس في «عقد الجواهر الثمينة»، وابن أبي زيد في «الرسالة» وابن جزي في «القوانين الفقهية» وابن عاشر في «المرشد المعين».

5. عدم الخوض فيما يورده علماء المشرق من شبهات حول العقيدة لردّها والدفاع عنها؛ لعدم الحاجة إليها بسبب قلة الفرق الكلامية المخالفة في المغرب والأندلس.

6. أن المتأخرين منهم ورغم تأثرهم الكبير بالفخر الرازي إلا أنهم يجمعون بين التأويل والتفويض في آيات الصفات، كما قال صاحب الجوهرة:

وكل نص أوهم التشبيهها *** أوله أو فوض ورُمّ تنزيهاً

التقويم

1. أذكر أبرز أعلام المذهب الأشعري المتقدمين في الغرب الإسلامي.

2. أعرف بأشهر مؤلفات المغاربة في المذهب الأشعري في العصر المرابطي والموحدي.

3. أستنتج أهم الخصائص والمميزات المنهجية لأعلام المغرب في المذهب الأشعري.

الاستثمار

قال محمد المنوني رحمه الله: «ولما جاء العصر المريني أقر المغاربة المذهب الأشعري بعد ما استبعدوا منه الإضافات الموحدية، وقد كان في مقدمة المؤلفات الكلامية التي استمرت تدرس في هذا العصر، كتاب «الإرشاد» لإمام الحرمين في الصفوف العالية، وبالنسبة لبقية الأقسام: العقيدة الوجيزة المشتهرة بـ «العقيدة السلاجية» المختصرة من كتاب الإرشاد، ثم عقيدة الرسالة القيروانية، وهي موضوعة على منهج طريقة السلف، والغالب أن المرشدة لابن تومرت كانت بدورها تستعمل للدراسة في هذه الفترة... ومن بين المؤلفين في الاعتقادات نقدم ثلاثة: **أولاً:** ابن البنا المراكشي، وهو مؤلف «الاقتضاب والتقريب للطالب اللبيب» مع رسالة في المعجزات النبوية. **الثاني:** أبو زكريا يحيى بن أبي بكر المسطاسي الفاسي... وهو شارح عقيدة الرسالة القيروانية. **الثالث:** أبو الحسن المشتهر بالطنجي، علي بن عبد الرحمن اليفرني الفاسي المتوفى عام أربعة وثلاثين وسبعمائة... كتب شرحاً موسعاً على المقدمة السلاجية بعنوان «المباحث العقلية في شرح معاني العقيدة البرهانية».

[ورقات عن حضارة المرينيين، ص 310].

أتأمل النص وأجيب عن الآتي:

1. أعرف بالمؤلفات الواردة في النص.
2. أعرف بالمؤلفين الثلاثة المشار إليهم النص وبآثارهم في العقيدة.
3. بم تميز علم الكلام في المغرب في العهد المريني؟

الإعداد القبلي

أراجع مؤلفات الأشاعرة، وأبحث عن الآتي:

1. بعض المناظرات والسجلات العقيدية بين العلماء الأشاعرة وغيرهم.
2. أهم ردود الأشاعرة على خصومهم وانتصاراتهم للمذهب.